"مصر : ضد استبداد الإخوان المسلمين، وضدّ استبداد العسكر"

(عبد الرحمان النوضة). ء

أشكر عبد المالك الجناتي على تعليقه[1] على وثيقتي التي تحمل عنوان: "مصر 2013: شرعية الانتخابات أم شرعية الثورة". لم أر تعليقه إلاّ بشكل متأخر. ورغم مرور شيء من الوقت، أجيب كما يلي:

1) كتبتُ وثيقتي تقريبا إبّان سُخونة أحداث مصر في 30 يونيو 2013 التي أطاحت بحكم "الاخوان المسلمين". حيثُ لم تكن آنذاك تتّضح كل الأمور. وبعض الجوانب التي أشار إليها عبد المالك الجناتي لم تتّضح إلاّ فيما بعد. ء

2) كان الغرض الأساسي من وثيقتي المذكورة أعلاه هو الرّد على أنصار "الاخوان المسلمين"، الذين كانوا يزعمون أن كون الرئيس السابق "الإسلامي" محمد مرسي ومن معه منتخبين من طرف الشعب، يعطيهم شرعية مطلقة، أو أبدية، وأنه لا يحق لأحد، بما فيه الشعب، أن ينتقدهم، أو أن يثور ضدهم. وعلى خلاف ذلك، توضّح الوثيقة أن الشعب المصري ثار ضد حكم "الاخوان المسلمين"، وأسقطهم نظامهم السياسي المستبد، مثلما أسقط نظام حسني مبارك

---

1 كتب عبد المالك الجناتي على "الفيسبوك" : هاهي قد مرت الان ثلاثة اسابيع على الثورة المزعومة فهل لا زالت تبدو لك ثورة يا استاذ عبدالرحمن ام هي عودة نظام مبارك بحذافيره ورجال امنه المتمرسين علي التعذيب وهتك اعراض المساجين وتزوير الانتخابات ومحاربة لارهاب الفلسطيني طبعا. مع كامل احترامي فان مقالتك تبريرية ومتحيزة لاسباب ايديولوجية صرفة ولا تمت باي صلة للتحليل السياسي الذي هو ابعد عن ان يشتق فقط من القناعات الشخصية ... النظام في مصر كان لازال مباركيا ولم يكن اخوانيا الا من جهة المناصب السياسية التي احتلها اخوانيون اما من حيث البنية السلطوية فلازالت مباركية عذراء. ء

المستبد، وأنه من حق الشعب أن يسقط حكم "الخوان المسلمين"، تماما مثلما أسقط حكم حسني مبارك. ء

3) بعد مرور الوقت، يتضح اليوم أن أحداث 30 يونيو 2013 في مصر هي أحداث مركّبة، حيث تحتوي على عدّة أشياء متباينة، وتتكوّن على الأقل من شيئين اثنين :

أ) ثورة شعبية ظاهرة وعارمة، أرادت إسقاط النظام السياسي "الاسلامي" المستبد الذي أقامه "الإخوان المسلمون".

ب) ثورة مضادة خفية، تقودها مؤسّسة الجيش، وتنخرط في إسقاط حكم "الاخوان المسلمين"، وتريد في نفس الوقت الرّكوب على الثورة بهدف إيقاف، أو إلغاء، السيرورة الثورية التي بدأت في يناير 2011.

وهاتان الثورتان تتداخلان فيما بينهما، وتتنافس، وتتصارع، كل واحدة منهما مع الأخرى. ء

4) إبان أحداث 30 يونيو 2013 في مصر، ظن الشباب الثّائر أن الجيش جاء إلى جانبهم لكي يناصرهم. لكنه **تبيّن فيما بعد** أن الجيش ناصر هذه الثورة لكي يستولي عليها، ثم لكي يحرّفها عن مجراها الأصلي، ولكي يحوّلها إلى ثورة مضادة تُعيد مؤسّسة الجيش إلى الحكم. وذلك تماما مثلما فعلت حركة "الاخوان المسلمين"، التي إلتحقت هي أيضا بشكل متأخّر بالثورة في 2011، وفرضت تحويلها من (ثورة من أجل الديموقراطية) إلى (ثورة من أجل الشريعة الإسلامية). ء

5) لقد أدركت قيادة الجيش أن ثورة يناير 2011، لم تكن فقط ثورة ضد حكم حسني مبارك، وإنما كانت أيضا ثورة ضد حكم العسكر، وضد حكم مؤسّسة الجيش. فأقدمت هذه المؤسسة على التحالف مع مجمل البرجوازية المصرية الكبيرة، والمتوسطة، والصغيرة، بهدف إيقاف سيرورة الثورة، وإعادة السلطة المطلقة لقيادة الجيش. ء

6) الفئات التي كانت سبّاقة إلى شنّ ثورة 30 يونيو 2013 هي خصوصا فئات الشباب الثوري، وجماهير العمال، والحرفيين، والمأجورين الصغار، وكل

الجماهير التي أدركت أن حزب "الاخوان المسلمين" استولوا على ثـــورة ينـــاير 2011، وحرّفوها عن مسارها الأصلي. لكن سرعان ما التحق بهذا المد الثـــوري جماهير أخرى تتكوّن من مجمل الشرائح التي تضـــرّرت مـــن اســـتبداد ونفـــاق "الاخوان المسلمين". ء

7) كل هذه التجارب الماضية (في مصر، والسودان، والصـــومال، واليمـــن، والجزائر، وسوريا، والعراق، وكذلك في بلدان أخرى مثل الشيلي، والأرجنـــتين، إلى آخره) كلها تؤكّد مرة أخرى أن **الجيش، ومهما كان وطنيا أو متحمّسا، فإنه يبقى غير مؤهل لممارسة السياسة، وغيـــر كفء لتســـيير الدولـــة، أو لتـــدبير الاقتصاد.** فبالأحرى أن يقود الثورة المجتمعية. وكلّما تدخّل الجيش في السياســـة، أو سيطر على الدولة، أو على الاقتصاد، فإن نتائج ذلك التدخل تكون دائما هـــي الأزمة، ثم الاستبداد، ثم الافلاس. فيصبح هكذا الجيش فاشلاً، وفي نفس الـــوقت، في السياسة، وفي الدفاع الوطني. **ودور كل جيش هو الدفاع الوطني، وليس هـــو الحكم السياسي،** أو التدبير الاقتصادي. ومهمة الجيش الأساسية هي مهنة الحرب، والتركيز على تهييء الدفاع عن التّراب الوطني واستقلاله، و**ذلـــك تحـــت إمـــرة السلطة السياسية التنفيذية (المدنية) المنتخبة ديمقراطيا.** ء

8) إذا كان موقف السيد الجناتي هو معارضة حكـــم العســـكر فـــي مصـــر، ومعارضة استبداد مؤسسة الجيش، ومعارضة الرّدة اليمينية التي أتى بها الجيش، فأنا أسانده تماما. وإذا كان السيد الجناتي ضد الثورة التي أطاحت بالنظام السياسي الذي أقامه حزب "الاخوان المسلمين"، فأنا أخالفه، وأضيف أن حكم "الاسلاميين" ليس مقدسا، في أي بلد كان، وأنه من حق الشعب أن يثور ضد "الاسلاميين"، أو ضد غيرهم، ولو كانوا منتخبين. لأن **سيادة الشعب هي أعلى وأولـــى مـــن أيـــة شرعية مكتسبة من خلال انتخابات ماضية.** ومصلحة الشعب المصـــري تكمـــن اليوم في انسحاب الجيش إلى ثكناته، وفي الرجوع إلى سيرورة ثورية، متحـــرّرة

من استبداد "الاخوان المسلمين"، لكي تبني سلميا، وبالتدريج، نظاما سياسيا ديمقراطيا، مثلما يحدث الآن في تونس. ء

9) يجب أن ننتبه إلى أن الحركات "الإسلامية" تختلف في أشكالها، أو في خطاباتها المرحلية، لكن جوهرها العقائدي واحد. فكل الحركات "الإسلامية" تحمل منظومة فكرية مطلقة، ومغلقة، وجامدة، وغير قابلة للنقاش أو للتّطوير. وتريد فرض الفكر الواحد المطلق، وبواسطة العنف، والإرهاب. ولا تتوفر الحركات "الإسلامية" على أي برنامج سياسي سوى "الشريعة الإسلامية". وتريد فرض تطبيق "الشريعة الإسلامية" بالقوة. وتريد تسخير المواطن للعبادة فقط. **وكل الحركات "الإسلامية" تؤدي حتما إلى الاستبداد الدّيني، والفكري، والسياسي.** وتؤدي دائما وفي آخر المطاف إلى الحرب الأهلية. وهو ما حدث في كل من : أفغانستان، وباكستان، والعراق، والصومال، والسودان، وسوريا، وليبيا، واليمن، والجزائر، إلى آخره. وهو ما قد يحدث أيضا في المستقبل في المغرب إن استمرت الأمور كما هي اليوم. **فلا خلاص إلاّ عبر فصل الدّين عن الدولة، وعن السياسية.** ء

عبد الرحمان النوضة (الخميس، 23 أكتوبر تشرين الأول 2014). ء